ياليتني ألقاه عند مماتي

شعر / فاروق جويده

يا للمدينة حين يبدو سحرها
وتتيه في أيامها النضرات
ومواكب الصلوات.. بين ربوعها
تهتز أركان الضلال العاتي
في ساحة الشهداء لحن دائم
صوت الخيول يصول في الساحات
والأفق وحي.. والسماء بشائر
والروضة الفيحاء تاج صلاتي
ويطوف وجه محمد في أرضها
الماء طهري.. والحجيج سقاتي
ماذا أقول أمام نورك سيدي
وبأي وجه تحتفي كلماتي؟
بالعدل.. بالإيمان.. بالهمم التي
شيدتها في حكمة وثبات ؟
أم بالرجال الصامدين على الهدى
بالحق.. والأخلاق.. والصلوات ؟

أم أنه زهد القلوب وسعيها
لله دون مغانم وهبات ؟
أم أنه صدق العقيدة عندما
تعلو النفوس سماحة النيات ؟
أم أنه الإنسان حين يحيطه
نبل الجلال وعفة الغايات؟
أم انه حب الشهادة عندما
يخبو بريق المال والشهوات ؟
أم أنه زهد الرجال إذا سمت
فينا النفوس على ندا الحاجات ؟
أم أنه العزم الجليل وقد مضى
فوق الضلال وخسة الرغبات ؟
بل إنه القرآن وحي محمد
ودليلنا في كل عصر آت..

×××

يا سيد الدنيا.. وتاج ضميرها
اشفع لنا في ساحة العثرات
أنا يا حبيب الله ضاق بي المدى
وتعثرت في رهبة نبضاتي
وصفوف قبلي فوق كل صفات
نور الضمير وفجر كل حياة
بشر ولكن في الضمير ترفع
فاق الوجود.. وفاق أي صفات
وصفوف قبلي فانزوت أبياتي
وخجلت من شعري ومن كلماتي
ماذا أقول أمام بابك سيدي
سكت الكلام وفاض في عبراتي
يارب فلتجعل نهاية رحلتي
عند الحبيب وأن يراه رفاتي
يوما حلمت بأن أراه حقيقة
ياليتني ألقاه عند مماتي

سبقتني.. مرة اخرى يا عم صالح

د. زاهر عبدالرحمن عثمان

التقيته قبل حوالي عامين بعد زمن طال أكثر مما نستحق. دخلت إلى مكتب المسئول عن مركز أبحاث المدينة المنورة ووجدته هناك. لم يتغيّر كثيراً وإن كنت عرفته قبل كل شيء بنبرة صوته الخاصة. أراد المدير أن يعرِّفنا ببعض وفوجئ به وهو يلقي بي في حضنه للحظات عفت عنّ كل ما مرَّ من ابتعادنا. وانطلق يتحدَّث وكأنه كان يختزن ذلك الحديث الطويل كل تلك السنوات. تحدَّث عن أبي، رحمه الله كثيرا وعن جوارنا المتباعد في حارة العوالي وعن الحياة في ذلك الزّمن الأجمل. قلت له أني كنت في صغري أصل إلى ظل بيتهم ذي الأشجار الوارفة لأدق الباب على بيت العم حمزة عينوسة، رحمه الله مرسولا بدعوة من والدتي إلى زوجته العصبيَّة على النسيان. ضحكنا كثيراً، وقلت له إني لا أعرف الكثير عن ذلك الجانب من الحارة وعن علاقتهم بجيرانهم وعن أبيه وشدَّته الحانية. وعدني أن يجيب شرط أن يكون ذلك في داره وترك لي اختيار الوقت.

"هيا ياعمِّي".. ورجع ليكمل حديثه بشجنٍ حميم مستعرضاً المعلومات التي أضافها لصورة بانورامية جميلة للمدِّينة المنورة. أضاف إليها ما لم يستطع أحد أن يفعل مستدرجاً ذاكرة من بقي ومسافراً إلى القاهرة وإسطنبول وغيرهما بحثاً عن مزيد يكمل به تلك الصورة ومجموعته التي لا تقدَّر بثمن. اقترحت عليه أن يخرج تلك المجموعة في كتاب غير الذي صدر قبل زمن، بحيث يضيف إليه ما تجمَّع من جميل مُهمٌ لا أهمَّ منه إلا تلك المعلومات الدافئة عن المدينة المنورة ومعالمها وشُخصيَّاتها التي يتحدث عنها وكأنَّه أمرٌ مُسلَّم. تحدث عن تجربته الطويلة مع المحكمة وكتابة العدل فيما يتعلق بقضايا الأراضي وحجج الاستحكام إذا لم يكن هناك مسَّاح بقدرته وكان يفخر أن ترخيص مكتبه المساحي رقم ١. قال أشياء كثيرة.. أقصد بدايات لموضوعات كثيرة: عن الشيخ عبد العزيز بن صالح وقضايا معقدة، وعنّ توسعة المسجد النبوي وكيف تمّ هدم المئذنة السليمانية التي ارتجّت المدينة حين دفع بجزئها العلوي المعلّم محمد بن لادن إلى الأرض. وحانت المغادرة ولم نشف بعد مما عنده.

التقينا مرات بعدها، وأصرَّ على دعوتنا إلى مكتبه. كان تقليديًا في مظهره، إلا أنه فاجأني بأخذه بكثير من التقنيات الحديثة في حفظ الخرائط والمعلومات. واستمرَّ يُدخل يده ليخرج خريطةً أخرى أو صورةً مختلفة وكأنه يدلف إلى الكيس السحري الذي لا ينفد ما فيه. كان من أجمل ما رأيت المخطَّط الساحي الذي تم بناءً عليه بدء التوسعة الأولى للمسجد الشريف. حين استغربت وجودها ضحك قائلا "إنت جاي تحسدني"! في مرة أخرى كان اللقاء انفراديًّا والشجن مزدوجاً. فتح قلبه ليعرض برضا تام بعض ما مرَّ به مما تمتلئ به الدنيا من قسوة. قال لي إن ظهره كادَّ أن ينكسر "بس ربَّك سلَّم"، وأن الأمور بدأت تعود إلى مسار من وعد جميل.

لا أحد يعرف المدينة المنورة كما يعرفها.. فهو بالفعل لا يالقول ذرع أزقَّتها وشوارعها وحاراتها ووثَّق ذلك في مخطَّطات احتفظ بها لعشرات السنين. كان كلّ شيء فيه مدني.. من مظهره المتبسِّط إلى نبرته الخاصة إلى ثقته الموغلة في حسن الظن، إلى ضحكته التي تبدأ من القلب لتنتهي إليه. كان أبقى من رائحة النعناع وأندى من "دورق" من دوارق الحصوة!

اتصل بي مرَّة كعادته في السبق لا لشيء إلا للسؤال الأخوي، ثم خطر بباله أن يؤكِّد لي دون أن أدعوه قائلاً: "ما أحد غيرك راح يطبع لي الكتاب".. وقلت له أني لن أسمح لأحد أن يفعل. ودون مقدِّمات بدأ يسرد حديثا عن الحارة وأهلها، وعن الوجوه الطيِّبة التي تمنَّى أن لديه صوراً لها لتكتمل الصورة التاريخية بالمدينة وناسها. قلت له أن يدوِّن ما لديه فاعتذر بتواضعه الذي كاد أن ينكر فيه أن لديه ما يستحق وبعد جدل اتَّفقنا أن يكتب بغضِّ النظر إن كان سينشر أم لا. تلك المرة فقط التي شعرت أنه أخذني "على قد عقلي".. ومضى.

نويت أن أسبقه بالتهنئة بشهر رمضان الماضي وسبقني أيضا بالتهنئة قبله بيومين راها كما قال "قبل الزحمة". كالعادة طال الحديث بعض الشيء مع بهجة كانت تبدو في روحه وكلماته مبشراً بأن الأمور بحمد الله آلت إلى انفراج. وحين دعوته لزواج ابني بعد العيد سرَّ بقدر سروري.. وللحظة شعرت أنه ربَّما كان أشد.. ووعد بأنه سيكون معنا في استقبال المدعوِّين وأنه سيدعو "نص المدينة" فهذا زواج ابنه. وقبيل العيد سبقني مبادراً بالسؤال عما قد نحتاج وموَّثقاً عزمه على الحضور بكلّ كلمات الوعد الممكنة. وفي ليلة الفرح جاء اتصاله "ما أدري إيش أقول لك.. بس الحريم غلبوني"، واعتذر بأنه سيسافر إلى الخارج مُقْسماً أنها ضرورة "حكم القوي على الضعيف". دعا بالتوفيق كأحد ما يكون الدعاء وافترقنا على أن اللقاء القادم على "عشوة" في داره نبحث فيها ما تراكم من وعود.

عند أذان فجر الأحد كنت أقرأ الرسالة: "عم صالح حجار في ذمَّة الله"..

سبقتني مرة أخرى.. ياعم صالح!

بروفايل

كان أحد زينة المجالس

•• هناك اشخاص الجلوس معهم متعة والمناكفة معهم أكثر امتاعاً لما يمتازون به من قوة تأثير على من يتحدثون معه بتلك الجمالية في شخصيتهم.. وخفة الدم والروح التي تصبغهم فتعطيهم قبولا عند الأخرين فانت لا تستطيع ان تنفك من تأثيرهم وعلى من حولهم مما لهم من ذلك الانجذاب الذي يتمتعون به .. هؤلاء في اغلبهم تغلب عليهم سماحة وطيبة يحسبها البعض سذاجة فيهم مع ان ذلك قد يكون صحيحاً في جانب واحد ولكنه ليس في كل الجوانب وسبب ذلك ما انطبعت عليه نفوسهم من نزعة نحو المباسطة التي قد تصل الى حد اللهو وتلك من مقومات شخصياتهم التي تنطوي على طيبة في القلب ومن أتحدث عنه هنا يأتي في رأس هذه النوعية من الرجال الظرفاء.

فهو له طابعه الخاص في الرواية وفي الحكي – المشبع بالعذب من الكلام. الذي يعطيه – ملاحة – في القول وقوة في السبك فيأخذك الى فضاءات من الحكايات ولا ألف ليلة وليلة.

انه أحد نجوم المجالس لما يضيفه من روح – المرح – وروح "المفاكهه" انه انسان رغم مظهره الذي يوحي بانه من القساة او من ينطبق عليه القول "شايف نفسه" الا ان عند الاقتراب منه تعرف بان كل هذه – الهالة – تخفي خلفها انسانا بسيطا هو أقرب في طبعه – من طفل – في براءته. وسلوكه.

•••

له نظرته الخاصة في قضايانا العربية حتى لو خالفه البعض فيها وله رغبة جامحة في مساعدة كل من يحتاج الى مساعدة كم رأيته يحمل أوراقا لقضايا الناس لصاحب السمو الملكي الامير أحمد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية أيامها عندما يكون ضيفاً عند استاذنا حسن قزاز رحمه الله وكم رايته وهو يحادث صاحب السمو الملكي الامير عبدالمجيد بن عبدالعزيز رحمه الله عارضاً عليه قضايا ومشاكل الناس بشكل ملح ومتابع لتلك القضايا الانسانية ويلاحق مسبباتها بين المكاتب ويقوم بالتعقب عليها.

•••

وله من المواقف ما تنم عن شخصية لها طابعها الجميل فهو كما ذكرت واحداً من اصحاب ملكة – القص – الروائي الذي يصل الى حد – الحلم – الواسع في جمالياته لما يملكه من براعة في العرض .. ذلك العرض المطبوع بصراحة حتى – الصدمة – للمتلقين لكنه يقولها في قالب من المرح مما يجعلها مصدراً للضحك لا الغضب وتلك احدى مميزات هذه الشخصية .. الجاذبة لما يقوله حتى ان لم يصاحب الواقع الناقل عنه وتلك من مميزاته التي امتاز بها.. فهو في أكثر حكاياته كان لا يكذب ولكنه كان يتجمل في بهو الكلام وفضائه بروح سمحة لا تعرف غير المباسطة والأخذ بها حتى اختلط عنده الجاد من الهازل.. وتلك لعمري من أجمل الصفات لديه أنه أحد زينة المجالس رحم الله رضا لاري وأسبغ عليه شآبيب رحمته.

إشراف
علي محمد الحسون

عن العشاق سألوني (١٠)

ألف ليلة وليلة (٧)

شيرين الزيني

اختلطت أحاسيسها فجأة.فبين ابتسامة بلهاء ارتسمت على شفتيها، دُفنت في عينيها السوداوين ،خلف دمعات كانت أقرب إلى قطرات طل تقبل بتلات الزهر.وبين ارتعاشة يدها، وهي تحاول الإمساك بكوب الماء لتبلل حنجرتها التي أحست اليبس فيها يجرحها.بين كل هذا وذاك كانت تقاوم في داخلها صرخة،لو اطلقتها لارتجت جدران المحل!

هي الأنثى التي لم يحسسها أحد يوما بأنوثتها.كان صوته يتناهى إليها خافتا،وهو يحدثها عن نفسه،واغترابه وآماله ،وأحلامه،صور تستعيدها من خلال شريط بال،يمر أمام عينيها.

أخٌ تتطاير عيناه شررا،وزوج لا يملك من القوامة،والرجولة إلا الاسم.

اختلست النظر نحوه،وأحست أنه يحتويها بكل ما يبدو منه من علامات الرجولة،والصوت الحازم رغم نبرة الحنان التي تغلفه.

–متى تكملين العمل محاسن؟

جاءها صوته الدافئ الحنون ليوقظها مما كانت فيه.

–عادة أكمل عملي بعد العصر.لماذا؟

–أمني نفسي بأن تقبلي دعوتي للعشاء معي هذا المساء.

–العشاء..لا لا .لم أتعود الأكل خارج البيت،فقد تعودت على العشاء مع الأولاد.

–لن تتأخري كثيرا.سيكون عشاء في مطعم أنيق ،وهادئ ،يتيح لنا فرصة التحدث بكل راحة.

(يا حبيبي.. الليل وسماه..
ونجومه وقمره قمره وسهره
وإنت وأنا يا حبيبي أنا..
يا حياتي أنا..
كلنا كلنا في الحب سوى)

يااااااه..مطعم أنيق وهادئ،قد يكون الطعام فيه تحت أضواء الشموع الخافتة،التي تضفي على المكان الكثير من الرومانسية.

كم حلمتْ بهذا وهي تعد نفسها لزواجها الأول ،ولكن الأيام جرت بما لا تشتهيه نفسها.

لأول مرة تشجعت لتنظر له في عينيه وهي تقول.

–تسعدني دعوتك الأنيقة،ولكن اعذرني. عندي التزامات أسرية،لا يحق لي تغييرها فجأة.

–لك ذلك محاسن..سأبقي على الدعوة مفتوحة.وأرجو ألا يطول انتظاري.

كانت عيناه تغوصان في عينيها السوداوين،وهو يغادر مقعده واقفا،مادا يده لمصافحتها.

–في أمان الله محاسن.

مدت يدا مرتعشة وهي ترد بصوت مخنوق:

–في أمان الله...في ...أمان الله.

على عتبة باب المحل توقف،ثم استدار ببطء،كانت هناك متسمرة في مكانها تنظر إليه نظرة هزت كيانه.ابتسم لها وهو يلوح بيده مودعا.راودتها فكرة العدو نحوه،ومطالبته بالبقاء،لكنها اكتفت بمبادلته ابتسامة عريضة غابت عن محياها سنوات طويلة.

(والهوى.. آه منه الهوى سهران الهوى..
يسقينا الهنا.. ويقول بالهنا
ياحبيبي يلا نعيش في عيون الليل
ونقول للشمس تعالي .. تعالي
بعد سنة مش قبل سنة دي ليلة
حب حلوه بألف ليلة وليلة
بكل العمر.. هو العمر إيه غير ليلة
.. زي الليلة .. زي الليلة)

يتبع...

ولحديث القلوب شجون لا تنتهي